



ثورة ٢٥ يناير المصرية في شعر عبدالرحمن يوسف



ثورة ٢٥ يناير المصرية في شعر عبدالرحمن يوسف

زهرا هاشمي تزنگي
طالبة ماجستير

حميد احمديان
استاذ مساعد

اسحاق رحمانى
استاذ مشارك
جامعة شيراز

البريد الإلكتروني Email : esrahmani@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: عبدالرحمن يوسف، ثورة يناير، مصر، الشعر العربي المعاصر.

كيفية اقتباس البحث

رحمانى ، اسحاق ، حميد احمديان ، زهرا هاشمي تزنگي، ثورة ٢٥ يناير المصرية في شعر عبدالرحمن يوسف، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، ٢٠١٨، المجلد: ٨، العدد: ١.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.



Egyptian Revolution in 25 Yanaur In Abdul-Rahman Yousef's poet

Isaac Rahmani Hamid Hamdian Zahra Hashemi Tzenji

Iran

University of Shiraz

Keywords: Abdul-Rahman Yousef, Yanauer rebellion, Egypt, Contemporary Arabic poem.

How To Cite This Article

Rahmani, Isaac, Hamid Hamdian, Zahra Hashemi Tzenji, Egyptian Revolution in 25 Yanaur In Abdul-Rahman Yousef's poet, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2018, Volume:8, Issue:1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (<http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/>)



[This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.](http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/)

Abstract

The present research aims at studying Egypt's political issues in the Age of Hadith which have been reflected in Abdul-Rahman Yousef's poems. Abdul-Rahman Yousef was among the greatest poets of the Egyptian Revolution in 25 201 January 1. He was also among the individuals who played a critical role in standing against Hosni Mubarak and encouraged people to stand against injustice. He also helped the Revolution afterwards and was among the individuals seeking for positive changes in Egypt.

Abdul-Rahman Yousef has written valuable divans, most of which being related to Egypt's political and social status. These poems have had great impacts on Egyptians' awareness. The present research aims to study this poet's divans and extract his political thoughts.

الملخص

تطرقت هذه الدراسة للقضايا السياسية التي مرّت علي مصر في العصر الحديث، والتي تبلورت في الأعمال الشعرية للشاعر عبدالرحمن يوسف وهو من أخطر شعراء الثورة المصرية في ٢٥ يناير ٢٠١١، ومن اللذين ثاروا في وجه النظام الفاسد لحكومة حسني مبارك، وله دور إيجابي في اندلاع الثورة وتحريض الشعب، كما أنّه يساعد الثورة ما بعد قيامها ويعدّه البعض من أهمّ دعاة التغيير السلمي في مصر. لعبدالرحمن يوسف مجموعات شعرية جليّة، وأكثر موضوعات شعره في قضايا مصر السياسية والاجتماعية، الذي قد ساهم في تشكيل وعي المصريين ووجدانهم بسبب جرأة مفرداته وطرق تقديمه للهجاء السياسي. المطلوب في هذا البحث الذي يغلب عليه المنهج الوصفي التحليلي دراسة المجموعات الشعرية للشاعر عبدالرحمن يوسف دراسة تكشف لنا آرائه السياسية التي قد انعكست في دواوينه وأثرت في اندلاع الثورة.

المقدمة

استهلت البلاد العربية عام ٢٠١١م بحركات قامت بها الشعوب قاصدة تغييرا جذريا في أوضاع عدد من الأقطار العربية. وبدأت الشرارة الأولى من تونس، ثمّ سرعان ما انتقلت الشرارة إلى مصر واستطاع المصري في أسبوعين وأيام قليلة _ كما يسميها البعض بالثورة الثمانية عشر يوما- أن يسقط نظام حسني مبارك عن الحكم في ١١ فبراير ٢٠١١، وقد بدأ نشطاء هذه الثورة ضد الفقر والفساد والبطالة، مطالبين بالعيش والحرية والعدالة، إضافة إلي حكومة شعبية ذات سيادة وطنية. لاشكّ أنّ للأدب دوره في اندلاع هذه الثورات، ففي هذه السنوات الأخيرة التي نشاهد فيها الثورات في كثير من البلدان العربية في الشرق الأوسط مثل تونس واليمن ومصر وليبيا والبحرين، على الأديب أن يحارب جنبا إلى جنب شعبه وأن يدافع عن أهدافهم. ومن هؤلاء الأديباء، عبد الرحمن يوسف شاعر وإعلامي مصري ومن الأديباء المعارضين لنظام مبارك، الذي أنشد ضده العديد من القصائد التي ذاعت صيتها منذ عام ٢٠٠٣. فلَقَّبَ بـ «شاعر الثورة» نسبة إلى ثورة ٢٥ يناير الذي كان واحدا ممن دعا إليها وشارك فيها بأعماله الشعرية والنثرية. هو من أهمّ دعاة التغيير السياسي السلمس في مصر، ويعدّه البعض من أهمّ السياسيين الشباب في مرحلة ما بعد ثورة يناير. له العديد من الدواوين والمؤلفات منها: «لا شيء عندي أخسر» و«في صحة الوطن» و«أكتب تاريخ المستقبل»...



فاتخذنا في هذا البحث، المنهج الوصفي _ التحليلي للبحث عن الأشعار الاجتماعية والسياسية لعبدالرحمن يوسف تحليل الأبيات التي تتناول القضايا الاجتماعية والسياسية. ونهدف إلى التعرف بالشاعر وآرائه السياسية والاجتماعية وأسباب ثورة مصر وتحركاتهم المليونية في ٢٥ يناير ٢٠١١م من خلال أعمال الشاعر، كما المطلوب من هذا البحث تبيين دور أشعاره في الثورة المصرية؛ فإنّ لأشعار عبدالرحمن دورها في اندلاع الثورة بسبب جرأة مفرداته اللغوية وحدثاته تعبيراته وطرق تقديمه للهجاء السياسي كما نرى نهجه الخاص فيه. على طريق المثال إنّه هجا مباركاً في قصيدته بإسم "إلى الأبد" بطريق يشبه مدحا له، كما أثر الشاعر على الشعب المصري في اندلاع الثورة، وقد انعكست أسباب الثورة المصرية في أشعاره. فهناك مسؤولية اجتماعية للباحثين تجاه ما يجري في المجتمع، وقد شغلت البحث عن الآراء السياسية والقضايا السياسية حيزاً واسعاً من المقالات والرسائل، غير أنني لم أعثر حتى اليوم على أي مقالة أو رسالة تطرقت إلى الموضوع المذكور في شاعرنا المصري عبدالرحمن يوسف كما أنّ الشاعر نفسه قد أذعن بهذا الأمر، فبيننا وبين الشاعر مكاتبات وعن هذا الطريق قد وصلنا إلى أدق آرائه السياسية حول مصر وثورتها.

فنحن في هذا البحث نريد الإجابة على هذه الأسئلة:

- كم تأثر المجتمع المصري بأحداثه السياسية في أشعار الشاعر عبدالرحمن يوسف؟
- كيف ساعدت أشعار الشاعر في اندلاع الثورة المصرية؟

نبذة عن حياة الشاعر

عبدالرحمن يوسف شاعر وإعلامي مصريّ من مواليد ١٨ سبتمبر ١٩٧٠ م بقطر. حاصل على شهادة بكالوريوس الشريعة الإسلامية من كلية الشريعة بجامعة قطر، كما نال درجة الماجستير في مقاصد الشريعة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة. (١)

واجتمعت في تشكيل شخصيته الأدبية عدة مؤثرات لا يمكن أن تغفلها العين وحاسة الذوق الأدبي بداية من ظروف المجتمع المصري التي ينتمي إليها الشاعر على مدار أكثر من أربعة وأربعين عام هي عمر الشاعر الشاب رغم كونه في العقد الرابع متمثلة في أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية فريدة بل وأحداث دولية إقليمية حادة، مروراً بالبيئة السياسية التي شارك الشاعر في صياغة مفرداتها عبر اشتراكه في العديد من حركات التحرر المصرية. فأنّه في طريق هذه التحركات عارض نظام حسني مبارك، وكتب ضده العديد من القصائد التي ساهمت في اندلاع الثورة وشارك فيها بالكتابة الشعرية والنثرية والعمل السياسي التنظيمي في





إنجاحها وله من الإصدارات الشعرية: "لاشيء عندي أخسره"، "في صحة الوطن"، "حزن مرتجل"، "أكتب تاريخ المستقبل"، "أمام المرأة"، "على المكشوف"، "على رأسها بطحة" و "مسبحة الرئيس". نشرت أشعاره الكثير من الصحف والمجلات في مصر والدول العربية وحالياً تنشر بعدد من المواقع الإلكترونية بالإضافة إلى موقعه وصفحات التواصل الاجتماعي. كما كتب "يوميات ثورة صبار" الذي يعدّ ذكرياته في أيام الثورة وشبه فيها المقاومة المصرية بالصبار. (٢) أما نحن فحصلنا على أشعاره عن طريق الشاعر نفسه حيث أرسلها لنا عبر البريد شاكرين جهوده وتواصله معنا خلال كتابتنا لهذا البحث.

قدم عبدالرحمن العديد من البرامج التلفزيونية المتنوعة مثل: الحد الفاصل، صفحة الرأي، مصر تنتخب، كما له أعمال صحفية كثيرة لكنّه منع من الكتابة والعمل التلفازي في نهاية حكم مبارك وكانت تستطيع الدولة في قبضه وسجنه لكنّها تعلم بأنّ القبض يسبّب ذياع صيته، فاكثفت النظام بمنعه من الكتابة ثمّ استأنف الشاعر نشاطاته بعد الثورة وهو حتى الآن يؤثّر على الثورة. فكان لزاماً على شاعرنا _ وهو المتعلّم المثقّف _ أن يجعل موهبته في خدمة قضايا الوطن، ومن يتأمّل في أشعاره يلاحظ كيف شغل نفسه بالقضية الوطنية والتغيير السلمي واتخذ الشعر أداة لتحذير الأمة نحو محاولة للتغيير.

أوضاع مصر السياسية في عصر عبدالرحمن يوسف

تعرضت أحداث سياسية وثورات خطيرة ضخمة على مصر التي تمتلك أعرق الحضارات الصامدة العظيمة منذ عام ١٨٨٢م، نذكرها باختصار:

١_ **ثورة عرابي في سنة ١٨٨٢م:** "ثورة محمد على باشا ضد الاحتلال الفرنسي التي كان سببها إيثار العناصر غير المصرية على العنصر المصري في سلك الجندية، حتى تولّى محمد علي موقع الولاية نزولاً عند إرادة الشعب المصري وبناء على وثيقة حرّرها زعماء الشعب، بقيادة عمر مكرم، ألزموا محمد علي بالانقراض ضربية، إلّا بعد إقرار العلماء، وأن يلتزم تحقيق العدل وتنفيذ الأحكام والشرائع. ومن العجب بعد مدة ثاروا على حفيده توفيق لأنّه كان يفضل عليهم الترك، لكن الثورة منيت بفشل ذريع بسبب اختلال توازن القوي وضعف الخبرة وانتهت باحتلال بريطانيا لمصر التي دام لأكثر من سبعين عاماً." (٣)

٢_ **ثورة ١٩١٩:** "التي قد اندلعت بقيادة سعد زغلول زعيم الحركة الوطنية المصرية والتي اشترك الشعب فيها بجميع فئاته وطبقاته حتى تحولت الثورة إلى ثورة شعبية حقيقية وكان أبرز



نتائجها إلغاء الأحكام العرفية التي كان يحكم من خلالها الإنجليز مصر والوعد بحصول مصر على الاستقلال بعد ثلاث سنوات. (٤)

٣_ حرب فلسطين عام ١٩٤٨: "بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، قامت القوات الإسرائيلية بقتل الفلسطينيين وتشريدهم، فكان لا بد أن يكون لمصر موقف إزاء ما يجري على الشعب الفلسطيني، فأصبح الملك فاروق ورئيس وزرائه النقراشي من المؤيدين لدخول جيش مصر الحرب فقررت القيادة المصرية دخول حرب في ١٥/٥/١٩٤٨ ضد القوات الإسرائيلية لنصرة الشعب الفلسطيني. في بداية المعركة حقق الجيش المصري انتصارات كثيرة، لكن تدخل مجلس الأمن ودعا بإنهاء الحرب ووصول الجانبين إلى مفاوضات رودس ١٩٤٩ ولم تلتزم إسرائيل بقرارات مجلس الأمن، أما مصر فأراد الرجوع دون أن تضطر إلى مفاوضات تنطوي على الإعراف الضمني بإسرائيل وربما تؤدي إلى صلح رسمي. فمصر تحمل العبء والتعب من أجل تلك القضية وثبت موقفها الرسمي برفضها القاطع لتقسيم أرض فلسطين." (٥)

٤_ الثورة ١٩٥٢: "في سنة ١٩٥٢ قاد جمال عبدالناصر واللواء محمد نجيب والآخرين من الضباط الأحرار ثورة ٢٣ يونيو، ثورة بيضاء وانقلبوا على الملك فاروق، بحيث نقلت مصر من عهد الملكية إلى عهد الجمهورية. فقد كان ناصر مسؤولاً عن تحويل مصر إلى الاشتراكية من خلال تأميم الصناعة وتنفيذ سياسات إصلاح أراضي واسعة النطاق وتحويل الدولة إلى مؤخر الرئيس للبضائع والخدمات للمواطنين." (٦)

٥_ حرب أكتوبر أو حرب الساعات الستة: حرب أكتوبر أو حرب تشرين التحريرية هي حرب دارت بين مصر وسوريا من جهة وإسرائيل من جهة أخرى في عام ١٩٧٣م، بسبب احتلال إسرائيل مرتفعات جولان في سوريا والضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس وشبه جزيرة سيناء المصرية في الجنوب، التي عرضت بتدخل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأعضاء في مجلس الأمن والتي تمّ باتفاقية كامب ديفيد. وقبلت مصر بالقرار وأما سوريا لم تقبل وقف إطلاق النار وبدأت في حرب جديد مع إسرائيل.

٦_ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١: ثار الشعب المصري عام ٢٠١١ في وجه نظام حسني مبارك وأراد عزله من منصة الحكم التي طالبت لأكثر من ثلاثين عاماً. وكانت لهذه الثورة الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تشير مئى عبدالكريم في كتابها "٢٥ يناير لماذا؟ و إلى أين؟" إلى أهم تلك الأسباب منها: "انتشار الفقر، انتشار العشوائيات والمساكن غير الكريمة وغير الآمنة، تأخر سن الزواج نظراً للفساد الاقتصادي، فساد النظام السياسي، تدني المستوي التعليمي



وتفشي الفساد به، انهيار الكيان المصري بالخارج، عدم الحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة.

(٧)

أدت هذه الثورة إلى تنحي الرئيس حسني مبارك في ١١ فبراير ٢٠١١ وتغيير النظام الذي كان المطلب الأساس للثوار، كما كان لهم مطالبات أخرى لكن لم تحقق شعارات ثورة الخامس والعشرين وهي " العيش والحرية والعدالة الاجتماعية و... ولم يزل الشعب المصري يلهث خلف رغيف الخبز ولقمة العيش وأما الحرية والعدالة الاجتماعية فهما لم يزلوا الأهداف المفقودة في مصر وللمصريين.

لاشك أن للأدب دوره في اندلاع ثورة كهذه وعلى الأديب أن يحارب جنبا إلى جنب أمته وأن يدافع عن أهدافهم ومن هؤلاء الأدباء النشطاء، عبدالرحمن يوسف وهو من أولئك الشعراء المعاصرين اللذين أدركوا الشعر برسائلته الجديدة والذي كانت أشعاره صرخة الإنسانية المظلومة وجعلها في خدمة قضايا مجتمعه واتخذ الشعر أداة لتحذير الأمة نحو محاولة التغيير، كما كتب في رسالة إلينا:

"أراد الله أن يغير الناس فأرسل لهم رسولا بكلام منه سبحانه، وهو أمر إن دلّ على شيء فيدلّ على أنّ التغيير يبدأ بكلمة، الكلمة فعل، الكلمة أول طريقة التغيير وشمعة التنوير. الشعر أسمى أنواع الكلام، كل كلام البشر معروض للنسيان، ولكنه يبقى الشعر، تتشبّث به الذاكرة. ورحلتي مع الشعر هي خلاصة تجربة جيل يحاول أن يزرع بذرة التغيير، وقدأزرعها، فطرح في ذاكرة الأجيال ثورة!"

نعم، التاريخ بأحداثه السياسية ومسبباته الاجتماعية والثقافية أكبر من أن يكون لفرد دور محوري في تشكيله أو تعديله، لكنّ الشاعر مجرد لبنة في جدار الصمود البشري. فبدعوة صريحة من عبدالرحمن يوسف وتفاعل عدد كبير من شباب التيارات السياسية المصرية ظهرت حركات سياسية كان لها دور كبير ومحوري في قيام الثورة. منها: حركة الكفاية والجمعية الوطنية للتغيير وحملة دعم الدكتور البرادعي للترشح لرئاسة الجمهورية والتي كان يوسف المنسق العام لها لمدة عام قبل الثورة مباشرة وكل تلك الحركات كانت الداعي الرئيسي ليوم الغضب في ٢٥ يناير والذي تحول إلى ثورة فيما بعد.

من هذا المنطلق كان دور عبدالرحمن يوسف لبنة صلبة في الجدار المصري الذي أنتج ثورة يناير وما قبلها من إرهابات وما بعدها من نتائج. كما تبلور دوره في دواوينه خاصة في " لاشيء عندي أخسره" الذي يعدّ هجاءا سياسيا، "حزن مرتجل" و" في صحة الوطن" وأشار فيها إلى القضايا السياسية الهامة التي كانت من أهم أسباب الثورة عام ٢٠١١ ومنها:

١- أعلاء شأن الوطن

قد وقع الوطن موضع اهتمام كثير من الشعراء الاجتماعيين والسياسيين والذين جاؤوا بأشعار المقاومة وما أصعب لهم أن يروا انتشار الفوضى والظلم فيها. فإنَّ عبدالرحمن كشاعر سياسي قد اهتم بها. فإنه يخاطب وطنه كموجود حيّ ويقول يا وطني العزيز إنني كم أحبُّ أن أراك في أعلى المعالي و في ذروة القدرة والشأن كما كنت في الزمن القديم، لكن الآن أراك في الذل والخذلان وقد استثمر ما كان فيك، فأنا حين الحديث معك جدّ لكن لا تنتبه إلى كلامي كأنتك هازي:

أَيَا وَطَنِي كَفَاكَ مِنْ ابْتِزَايِ أَنَا جِدَّ وَأَنْتِ الْآنَ هَازِي

أُرِيدُ أَرَاكَ فِي أَعْلَى الْمَعَالِي وَأَنْتِ تَعِيشِ عُمْرَكَ فِي الْمَخَازِي (٨)

يتجسد الوطن في نظر الشاعر كهلا يدعو كما يدعو الشيوخ الشباب بالصبر والتحمل والكف عن التمرد. ويخاطب وطنه قائلاً بأنك تعيش عمرك في المخازي لأنه قد طال عمرك في الذل والحقارة في حكومة مبارك الحاكم التي طالَّت ثلاثين عاما، حيث كأنه عاش كل عمره في المخازي، ونرى رقة المشاعر والعواطف من جانب الشاعر التي تدلّ على حبّ الأرض والإنشداد إليها والاعتزاز بها. فالشاعر الثائر ترسم وتحد عواطفه لأرضه وهو وضع نفسه وكل مشاعره ووجدانه داخل إطار أرضه، وإنّما تتجلي هذه بروعتها وضخامتها في حرارة التعبير العام عن وجدان الأمة تعبيراً تتمثل فيه كل أماني الأمة وآمالها في الانتصار على التخلف والانحطاط والارتفاع بمستوي الإنسان العربي إلى ما يكفل له حياة أفضل، وإجتياز حدود هذا التخلف إلى مكان يحتفظ فيه بكرامته وحرّيته.

وفي الأبيات التالية يتعني الشاعر ببلاده وكأنه ينشد بالصوت العالي ويقول للجميع بروح المقاتل أنه يقاتل من يقاتلها، وهذا هو نشيد الشاعر المصري الذي يهتمّ بوطنه ولا يبادل كوخا في أرضه بكنوز الأرض كلّها، لأنه من يحبّ وطنه لا يقابله بشيء بل يحاول أن يحلّ مظالمه ويرفع قضاياها بكل الوسائل التي يمكنه وكل ما يقوله عنها من أشعار، مجرد محاولة بسيطة لايناله الوصف الكامل لها:

بِلَادِي ...رُوح أَشْعَارِي أَقَاتِلَ مَنْ يُقَابِلُهُ



كُنُوزُ الأَرْضِ لَو تَسْعِي لَكَ وَخِـيلاً تُعَادِلُهَا
 دُرُوبُ الحِلْمِ يَا مِصْرَ إنْ جَلَّتْ نُـجُوراً وَسَائِلُهَا
 وَشَعْرِي فِيكَ يَبْدُو لِي مُحَاوِلَةً أُحَاوِلُهَا (٩)

في الأبيات التالية ينتقل الشاعر من حب الوطن إلى حب ساكني هذا الوطن الذي يتعذب من أجل بذلها مزيداً من العطاء. الجمال في الوطن أمر نسبي، والإنسان هو الذي يخلق المكان، ويعطيه أهميته وجماله، فارتباط عبدالرحمن ليس بمفردات بيئته محلية كادحة، ولكنّه ارتباط حميمي من نوع آخر. هذه النماذج من شعر عبدالرحمن تدلّ على تفتق الحس الثوري من خلال النظر إلى واقع الشعب وما يلاقيه من ظلم، وما يعانیه من اضطهاد، واستغلال تلك الظروف لتوجيه إشارات ثورية هادفة بغية استنفار المشاعر وتحريض الضمائر على التعلق بالوطن:

وَجُودِي وَكُلَّ عَذَابَاتِ عُمْرِي لِأَرْضِي أَرَاهَا قَلِيلَ العَطَاءِ
 أَنَا عَاشِقُ الشَّعْبِ... وَالشَّعْبُ يَشْدُو لِأَرْضِي وَكُلَّ فُنُونِ العِنَاءِ (١٠)

٢- الاستبداد

تعبيرات يوسف عبقرية في وصف واقع الدولة المصرية بين ما يجب أن يكون وبين ما هو كائن بالفعل، فالدولة المصرية في خيال عبدالرحمن يوسف دولة فتية قوية مثل الحصان العربي الأصيل لكنها ورغم عظمتها وقوتها مكبلة لا تستطيع أن تتحرك وتجول، دولة حين تتحدث تبكي مكبل شعبها بألف قيد يشكو، ولا أحد يجيب بحلم أهلها بالتحرك ولا أحد يصدق ذاع صوت الفساد بها والكل يدعي عدم الاستماع:

قَدْ نَسَيْتُ الصَّهِيلَ مِنْ طُولِ كَبْتِي وَتَعَلَّمْتُ... إِنْ تَكَلَّمْتُ... أَبْيِي
 تَعَبَ القَيْدِ مِنْ تَذْمُرِ شَعْبِي بَاتَ يَشْكُو فَمَلَّ مِنْهُ التَّشْكِي
 وَرُؤَايَاتٍ عَنِ تَحَرُّرِ أَرْضِي قَدْ أُذِيعَتْ عَلَى المَلَا دُونَ حَبْكَ





أَنْتِ رِيحٌ نَزَلْنَا ثُمَّ فَاحَتْ وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا رِيحٌ مُسْكٌ (١١)

فالاستبداد يمنع من كل تغيير سلمي، كما يشير إليها أدونيس: "الاستبداد أصل لكل الفساد وإن الاستبداد يضغط على العقل فيفسده ويلعب بالدين فيفسده ويحارب العلم فيفسده والاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان، فعلا أو حكما التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية حساب ولا عقاب محققين ويمكن التخلص منه ورفعته بتلك الأمور:

١_ الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بالآلام الاستبداد لا نستحق الحرية.

٢- الاستبداد لا يقاوم بالشدة إنما يقاوم باللين والتدرج .

٣_ يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به الاستبداد." (١٢)

بالطبع، حينما يحدث الاستبداد في مجتمع يحول دون التحرك والرقي وبصير كالعلقة له المقام على امتصاص دم الأمة، فلا ينفك عنها حتى تموت ويموت بموتها. وفي أمثال تلك المجتمعات ينسى الشعب المقاومة وليس لديهم إلا التشكي مما يدور حولهم، وإن أراد البعض التحرر سرعان ما يسكتونه بالزور والاستبداد.

يرى يوسف إن الاحتلال قد يهدم الأمم ولكن الحاكم الظالم المستبد قد يكون أكثر خطرا على دولة يحكمها، فالمحنة الكبرى ليست محتل غاصب ولكن في حاكم متستبد مغتصب، فهو يبطش بالشعب ولا يدافع عن الأرض، سيفه موجه للداخل و ليس لأعداء الخارج حيث يشجع الأعداء باستثمار ما كان في البلد من المعادن، فكانَّ البلد يسير سيرا قهقريا:

وَتَمِيمَةٌ قَالُوا... فَقُلْتُ: "بِرْنَقِيع"! أ تَمِيمَةٌ وَالْحَالُ بَطْشٌ وَتَرْوِيع

وَقُلْتُ: "إِلَى خَلْفِ تَسِيرِ دُرُونَا" وَقَالُوا: "لِلِاسْتِثْمَارِ فِي الْأَرْضِ

تَشْجِعُ" (١٣)

٣- الديكتاتورية:

شهادة تحدي يرسلها الشاعر عبر قصيدة" لا شيء عندي أخسره" فلا شيء لديه ولدى أحد من المصريين بسبب الفساد وطول القهر الذي تعرض له الجميع في عهد مبارك وأولاده ونظامه المستفيد الفاسد، ليس لديه غير الكتب والشعر، حتى هذه الكتب قد أحرقها ليستندفأ بها! شأنه شأن الجميع، الكل معدم مسلوب الحرية والإرادة ورغم كل هذا يطلب مبارك منهم تقديم الشكر والثناء:



لَا شَيْءَ فِي مَكْتَبَتِي / كَيْ أُخْسِرَهُ...! / فُكِّلَ مَا جَمَعْتَهُ مِنْ كُتُبٍ / أَحْرَقْتُهُ عِنْدَ الشِّتَاءِ حِينَ عَزَّتْ
مَجْمَرَةٌ... / وَسَأَلْبَنِي خُرَيْتِي وَلَقَمْتِي / يُرِيدُنِي أَنْ أَشْكُرَهُ...! (١٤)

الواقع الساخر للشاعر جعله يسخر من نفسه وممن حوله في رواية درامية أبطالها الأمار والمأمور، فالكل عبد لهذا الرئيس الذي نصب نفسه ونظامه الآلهة على العباد فهو وأبيه وجده يخضعون شأن كل مصري:

أَنَا عَبْدُ الْمَأْمُورِ... / وَأَبِي عَبْدُ الْمَأْمُورِ... / وَكَذَلِكَ جَدِّي الْأَكْبَرُ كَانَ_ كَمَا يُرْوَى لِي جَدِّي
الْعَاشِرُ_ فِي الْمَاضِي... / عَبْدُ الْمَأْمُورِ...!!! / إِسْمِي عَبْدُ الْمَأْمُورِ... / وَكَذَلِكَ طَبَعِي...! (١٥)

"إنَّ الثلاثين عاما من الديكتاتورية قد أجبرت أفضل الناس على الانزواء، إذ قيل إنَّ أهل الثقة أولى من أهل الخبرة" والمقصود بـ "أهل الخبرة" ليس بالضبط أهل المعرفة والتجربة، لكن من لم يكن مستعدا للتنازل عن رأيه المبني على المعرفة والخبرة، إذا طلب منه الرئيس". (١٦)

هذا الشعر المتحدي ينتهي إلى سؤال يثير العجب من أنه في الوقت الذي ينتظر الجميع من مبارك الرحيل، يسعى مبارك إلى توريث البلاد لابنه الصغير الذي لا يدرك شيئا من السياسة و الدولة، وكأنَّ هذه الدولة ملك له ولأسرته وكأنَّ الوطن يبدأ منه وينتهي إليه:

وَرَعْمَ كُرْهِنَا الْفَطِيحِ... / وَمَا نُحْسُهُ بِفَضْلِ حَجْمٍ / كُرْشُهُ وَأَهْلُهُ مِنَ التَّجْوِيعِ... / وَبَعْدَ أَنْ تَشَوَّقَتْ
قَلُوبُنَا

لِللِحْظَةِ التَّوْدِيعِ... / يُرِيدُ أَنْ يُرْتَسَ الرُّضِيعُ...!!! (١٧)

٤- حكم الطوارئ واستغلال الناس

يوسف في بعض الأبيات يشير إلى حكم الطوارئ في نظام مبارك الذي بموجبهُ للحكومة الحق أن تحجز أي شخص لفترة غير محددة لسبب أو بدون سبب واضح، أيضا بمقتضى هذا القانون لا يمكن للشخص، الدفاع عن نفسه وتستطيع الحكومة أن تبقيه في السجن دون محاكمة وهذا في الحقيقة كان قيادا على حرية التجمع السلمي.

ويصور لنا الشاعر تلك التهديدات الحكومية ويقول:

عِيدُ الْقَضَاءِ عَدَا لِإِخْتِاجِ أَضْحِيَّةٍ / أَبْشُرْ فَسَوْفَ تَرَى كَمَا عَجَلْ مَذْبُوحَا / فَاخْذَرْ فَسَوْفَ
تَرَى فِي مَوْقِفِ عِيسٍ / مِنْ نَارِ رَبِّكَ يَوْمَ الْحَشْرِ مَلْفُوحَا (١٨)

لبطش الدولة الأمنية في شعر يوسف كثير من الوصف. يصف الشاعر كيف هو زراع وسيف الأمن مسلط على الرقاب من أجل الحفاظ للحاكم على كرسيه وهو لا يدخر جهدا في دعم الجهات الأمنية بكل الأساليب والأسلحة فقد استخدم الحاكم الظالم مجموعة من أبناء الشعب لبيطش بالشعب ويستغرب النفس كيف تقبل هؤلاء أن يبيطشوا بإخوانهم وأخواتهم!؟

وهنا يشتكي عبدالرحمن من الحكومة والبوليس اللذين استسلموا مقابل أمر مبارك وظلموا الشعب، كما يشتكي من الصمت الذي قد استولى على بعض الشعب المصري، وهم يظلمون ولا يثورون! لكن في الحقيقة كان لأمثال هذه الأبيات من جانب الشعراء تأثيرات هامة على تحريك الناس للثورة نهائياً:

نُبْتُ أَنْ مُدِيرَ الْأَمْنِ أَوْعَدَنِي وَالسِّيفُ عِنْدَ مَدِيرِ الْأَمْنِ مَسْلُوقٌ

أَسْيَافُهُ ظَهَرَتْ فِي اللَّيْلِ لِأَمْعَةٍ لَا يَشْتَكِي قِصْرَ مِنْهَا وَلَا طَوْلَ (١٩)

كما يحذر العسكر من القتل والتعذيب ويقول:

يَا عَسْكَرِي / بِشَوْيْشِ شُوبَةٍ وَأَنْتَ بِتَخْطِي عَلَى الْأَشْلَاءِ ... / وَوَطِي صَوْتُكَ وَأَنْتَ بِتَخَاضِرُنَا فِي الْأَخْلَاقِ ... / طَرِيقُنَا وَاسِعٌ بَسْ مِنْ هَبْدِ الْبِيَادَةِ ضَاقَ ... / وَالسُّلْطَةُ دَاءٌ .. / وَالْكِبْرُ مِنْ خَلْفِ الْحُرَاسَةِ سَمٌّ مَتَعْبِي تَدَوَّقُهُ تَحْسَبُهُ تَرِيَاقَ ... / إِرْحَمِ أَبَانَا يَا أَخِي وَارْجِعْ عَلَى الْقِشْلَاقِ ...! (٢٠)

تلك القصيدة في الحقيقة رسالة للعسكر بتوخي الحذر من قتل وتعذيب الشعب. الشاعر يخاطب العسكر الذي يطلب من الناس حفظ الأخلاق وحفظ الكرامة وحب الوطن والمحافظة على مصر من الضياع ويحاضرهم وكأن الشعب طلاب لديه في الأخلاق، والحال أنفسهم يظلمون الشعب اللذين هم أساس الوطن ولا يفعلون ما يدعون ويقولون لهم، فلماذا يدعوهم الشاعر لتترك السياسة والعودة إلى الحدود والمناطق العسكرية التابعة له.

٥- استغلال المعادن و النفط:

الشعب المصري غني بأرضه ومائه وسمائه وطبيعته الباهرة، فكيف يكون بهذا الفقر، هذه رسالة استنكار وتعجب يرسلها الشاعر ويطلقها في الفضاء وهي دعوة صريحة للتمرد على حكام فاسدين فاشلين.

والشاعر في قصيدة "في صحة الوطن" التي تبدو من أروع وأطول قصيدته يشير إلى وجود المعادن والذخاير في بلده مصر ويفرح بأنه صاحب تلك الأرض والسماء وهو يعشق شعبه وأرضه ويتغني لهم بأشعاره:

أَنَا مَالِكُ النَّفْطِ فِي جُوفِ أَرْضِي وَمَالِكُ أَرْضِي وَكُلِّ السَّمَاءِ



أَنَا عَاشِقُ الشَّعْبِ وَالشَّعْبُ يَشْدُو لِأَرْضِي بِكُلِّ فُنُونِ الْغِنَاءِ (٢١)

ثمّ ينشد:

فَقِيرًا بِتُّ رُغْمَ ثَرَاءِ أَرْضِي ب" فُوسَفَات" وَ"تَبْرُول" وَ"عَاز"

تَقْوَقِعَ عَزْمِي الْمَكْسُورَ هَمًّا وَلَمْ أَقْبَلْ بُعْزِي مِنْ تَعَاذِ

وَيَعِدَ مَمَاتَ عِزِّي مِنْ قَنُوطِ تَمَّاكَ مَوْطِنِي جَيْشِ لُغَاذِ! (٢٢)

الأبيات الأولى سرد لكنوز منهوبة تتميز بها الأراضي المصرية، لكنّ القسم الثاني من الأبيات أبيات يبرز الشاعر حزنه حينما يرى بأنّ الشعب المصري فقراء مع وجود هذه الذخاير الأرضية الهامة، ولعزته العالية لا يقبل هذا الفقر فأصيب باليأس والقنوط، لكنّه سرعان ما يرجع من يأسه ويأمل بأن يملك بعده مواطنوه ذخائرهم الأرضية.

كما يتناول الشاعر بالبحث خروج الموارد المصرية إلى الغرب، ويقول أنّ الغرب كربّ سيطر علينا وعلى أفئدتنا ويأمرنا بما ننجز في سبيل إرضاءه وشعبنا المصري يعيش في الفقر و لا يجد لقمة عيش في حين أموالنا في بنوك سويسرا وكلّ ذلك بسبب الرئيس الخائن الخائف الذي جعل الشعب أن يعبدوا المذلة والخفة بعد تلك الحضارة القديمة:

أَنْمُوذُجُ الْغَرِيبِي فِي أَفْكَارِنَا كَالرَّبِّ سَيطِرُ فَوْقَ كُلِّ الْأَفئِدَةِ

كُلُّ الْمَوَارِدِ فِي بُنُوكِ سُويسِرَا وَالْغَالِبِيَةِ فِي ضَنَاهَا مُجْهَدَةِ

طُرُقُ الْمَذَلَةِ عُبَّدت وَدُرُوبُنَا لِلنَّهْضَةِ الشَّمَاءِ أَمْسَتِ مُؤْصِدَةً (٢٣)

٦_ إجبار المصري في قبول حكومة مبارك



خلال حكم مبارك، لقد أجبر الشعب المصري بطاعة الضباط اللذين يزينون أنفسهم بالأنواط
واللذين جعلوا أنفسهم متقدسين لكن قادوا الشعب إلى الضلالة وغرقوهم ببحر الذلّ والهلاك:

أَدَّ السَّلَامَ لِحَضْرَةِ الضُّبَّاطِ يَتَجَمَّأُونَ بِسَائِرِ الْأَنْوَاطِ
أَلِقِ السَّلَامَ وَقَدْ تَقَدَّسَ سِرُّكُمْ فَتَمَّ جَمِيعَ الرُّسُلِ وَالْأَسْبَاطِ
قَد تَمَّ سَفِينَتُنَا لِأَسْوَأِ لُجَّةِ غَرَقَا بِبِحْرِ الذُّلِّ وَالْإِحْبَاطِ (٢٤)

كما يشير الشاعر بإجبار مبارك الشعراء بمدحه، ومن لا يمدحه فقد يجبره بالنطق بالكبراج الذي
في يده. ويشتكى من سطوة السفلة والذين لا يقيمون الشرع على الشعب:
وَالسُّفْلَةُ تَحْكُمُ فِي وَطْنِي.... /وَالْخَمْرُ- بَرُغْمُ نُصُوصِ الشَّرْعِ /تَحَرَّمَ - ما زالت وثني...! /
وَالْحَاكِمُ يَمْلِكُ كَرِبَاجًا ... /إِنْ أَسْكُتُ عَنْ مَدْحٍ /فِيمَدْحٍ يَنْطَقُنِي...!(٢٥)
كلنا في الهم شرق. لسان حال الشاعر حين يتحدث عن الظلم والقهر والدكتاتورية، فجميع البلدان
العربية يجمعها حكم ظالم وسطوة أمنية غاشمة. فأين الحرية وأين الإرادة للشعب إذ مجبورون
وليس لديهم اختيار!

بيطش نظام مبارك من خلال الجنود بالشعب، وهنا يقتبس الشاعر من القرآن الكريم القول ببطش
فرعون، وجنوده أداة الحاكم الظالم فيقول عنه وعنهم بأن جنود الجبار وسكين القتل ترغب في أن
تقتل حرية الشعب وأحلامه في التحرر مما خلف قدرا كبيرا من الكره والبغض في قلوب
المصريين ،كما يبين الشاعر مدي كراهيته للحاكم الجبار والقاتل ويخاطبه عندما يقول: بأن ليلنا
صار أطول من نهارنا بسبب ظلمك إيانا، وفي الحقيقية لقد وصل الأمر بالمصريين إلى أمر
حتى تمنى موت الحاكم وزوال حكمه بأمر الله، إن كان الشعب عاجز عن تحقيق ذلك:

جُنُودُكَ يَا جَبَّارُ سِكِينٌ قَاتِلٌ يَزِيدُ بِهِ لَيْلِي لِيَنْقُصَ مِنْ فَجْرِي
وَكُرْهُكَ فِي قَلْبِي وَمَوْتُكَ مَنِيَّتِي وَسَـيْفُكَ فِي نَحْرِي
وَتَحْسِبُنِي أَرْضِي بِحُكْمِكَ فَوْقَا أَبَايَعُ فِي جَهْرِي وَالْعَنُ فِي سَرِّي (٢٦)



٧- تعذيب السجناء

السجون المصرية والعربية تعجّ بالمظلومين، فجهاز الأمن المصري يعدّ من أشد أجهزة الأمن قوة وبأساً، ولهم البراعة في القتل وهذه البراعة في القتل والتعذيب، شكل من أشكال تكبيل المصريين وقتل الإبداع والرقي الذي مكن أن تصل إليه الشعوب المتحضرة وليس الشعوب المحتلة فكرياً وأمنياً.

والظلم ليل مظلم، يظن المستبد أنه وجب على شعوب تحكّم في مصائرهم بدون وجه حق وظن أنه وجب على الشعوب أن تحترم هذا الليل ولا تفكر في ضياء الحق والنور، لذلك يفكر المستبد بحجب شمس الحرية التي يحلم بها مقابل لقمة عيش وحرية زائفة. ويشير الشاعر في قصيدة " زمن الخصيان" إلى الذين ماتوا في السجن على يد ذلك الرئيس الذي يرى نفسه ربا مخلداً فوق عرش وينشد بأنه يحكي حائط تلك السجون بدمهم وبيراءتهم:

حَائِنَا... قِيدٌ فِي زِنَازِينَ ذَلِّ وَرَأْسِي مَخْلُدٌ فَوْقَ عَرْشِ!

حَائِطُ السِّجْنِ عَنِ دَمِي صَارَ يَحْكِي وَلَسَانِي مُقِيدٌ تَحْتَ فَكِّي (٢٧)

يستمر يوسف في سرد واقع السجن وأشكال السجون سواء كان سجناً مادياً أو معنوياً، فقد فطن النظام المصري لخطورة التعاطف مع المناضلين والمعتقلين السياسيين، فبدأ في تجنب سجن البعض الخاص بشكل مادي وصريح والإتجاه نحو محاصرتهم وقطع الطرق أمام تواصلهم مع الناس. مع هذا اعتقل كثير من الناس دون سبب لاعتقالهم فهم أبرياء ما ارتكبوا إلا حبّ الحرية والكرامة! فكيف يمكن للمصري الترقّي إذ هو في السجن ودمه أريق على حائطه وقائدهم لا يفهم:

كَيْفَ تَرْقِي وَقَدْ غَزَانَا عَدَانَا؟ وَأُبْحِنَا لِزُورِهِمْ أَلْفَ قُدْسِ؟

كَيْفَ؟ وَالسِّجْنُ ضَمَّ شَعْبَا كَسِيحَا وَزَعِيمٌ "مُحْنَطٌ" فَوْقَ كُرْسِي؟ (٢٨)

فهو لا يقايض بأشعاره التي كالشموس يضيء الطريق، بحجة إن باع هو نفسه واستسلم سوف يستسلم كل الشعب أمام ذلك الكافر الملحد. فالسجن هو جزء من لا يحترم الظلام ويقابله في نظام مبارك المستبد:



قَالُوا: "لَأَنَّكَ لَمْ تَحْتَرَمْ لَيْلِنَا سَوْفَ تُسَجَنُ / فِقَائِضُ شُمُوسِكَ بِاللَّيْلِ كِي لَا تُضَيِّعُ...". / فَقُلْتُ: أَنَا
إِنْ أَقَائِضُ بِيَوْمٍ فَسَوْفَ تَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَبِيعُ. (٢٩)

لا نجد في أشعار يوسف مديح إلا نادرا ومن أجمل قصائد المديح قصيدته التي تخلد ذكرى "جيفارا"، ويأتي هذا المديح في مسار المقارنة وتحفيز الهمم للمقاومة والصمود. فهو يشير إلى المناضلين السجناء وينشد في الذكرى الأربعين لاغتيال المناضل "تشي جيفارا" الذي يحزن من صفة الظلم على وجه المستضعفين ويريد استحالة الظلام بالنهار ويصيح ويعلو صوته قبال مبارك، ويقول الشاعر بأن جيفارا حي، ويعيش على بعد منا:

"جِفَارًا... نَحِيفٌ وَلَا يَشْتَكِي / وَيُوجِهُ مَنْ يَشْتَكُونَ الْبِدَانَةَ...! / تَأَلَّمْ مِنْ كُلِّ صَفْعَةٍ ظَلَمَ عَلَى
وَجْهِ مُسْتَضْعَفٍ ... / يُصِيحُ عَلَى بُعْدِ صَوْتٍ وَنَصْفٍ مِنَ الصَّمْتِ / كَيْ يَتَحَوَّلَ كُلُّ الْقُنُوطِ
اصْطِبَارًا... / كَيْ يَسْتَحِيلَ الظَّلَامُ _ وَلَوْ لَحْظَةً _ فِي اللَّيَالِي نَهَارًا... (٣٠)

نعم يعيش جيفارا في قلوب المقاومين منارة تهدي للطريق الصعب طريق الحرية والنضال، هذا المناضل الذي رفض المال والنفوذ يساند ويتألم لألم كل المستضعفين في الأرض على اختلاف أجناسهم وديانتهم وأنماط حياتهم، يحيي في قلوب كل المناضلين بأفعاله. وهذه القصيدة، ديوان كامل لروح الشهيد التي أثرت الحياة على مر العصور يتحدث بها مخاطبا الشهيد على مر العصور والبلدان مجسدا تجسيدا بديعا، يصف حاله للشاعر وحال الواقع العربي والإسلامي في ظل الحروب والظلم، ويصرخ الشهداء مطالبين بالقصاص لهم ممن قتلهم أو تواطأ في قتلهم.

أشكال التعذيب والتكبير والتبرير والقمع والهروب من جريمة بجريمة أخرى يسردها الشاعر ببراعة وتشبيهاً جريئة تصل بك إلى أعلى درجات التعاطف. لقد استفادت حكومة مبارك وبوليبيته من كل الوسائل للتعذيب فهي مرة عاقبتهم بالسياط مرة بالكهرباء، مرة بالاحتراق. يعذبهم البوليس لكي يعترفوا وبعد الاعتراف، يعذبهم لأنهم رفضوا التعاون في أول الصفع! وقد جعل مبارك الشعب المصري في أدنى مكان وتصرف معهم أصعب تصرفات لكن الشخصية المصرية قادرة على الثبات والاحتمال والتقاؤل رغم كل العذابات:

أَعَابُ بِالْمَاءِ / بِالْكَهْرِبَاءِ / بِحُرْقِي بِرَمِي / كَكَيْسٍ مِنَ الرَّمْلِ مِنْ شَاهِقِ الْأَبْنِيَةِ...! / وَبَعْدَ اكْتِمَالِ
جَرِيمَةِ قَتْلِي / يُخَيِّرُ أَهْلِي مَا بَيْنَ قَتْلِ جَدِيدٍ... . وَبَيْنَ قَبُولِ الدِّيَةِ...! (٣١٢)

فالشاعر يضجر من المصائب والجرائم التي ارتكبها مبارك في حق المصري ولذلك يهجو هجاء يشبه بمدحا له، لكن هجاء يوسف لمن يكن بغرض هجاء بل هو فرض عليه بسبب الظروف التي عاشها الشاعر، كما أن الخوف من عقاب الحكام جعل الجميع ينزوي بعيداً عن





ثم يتابع ويقول لمن يرفض أن يتحرر الشعب المصري ومن يكره المصريين ويقتلهم ويبيع أحلامهم ويمنع من تحقق أمنياتهم، بأنهم سوف يسمعون قريبا صوت الاحتجاج كما سيفعله المصريون لينالوا الحرية وإن فعل المصريون سيكون حديث العالم:

شاعر وَيَقُولُهَا عَلَى الْمَكْشُوفِ ... / يَا اللّٰي انْتُوا كَارِهِنَا وَقَاتِلِنَا وِبَايَعِنَا / يَا اللّٰي انْتُوا عَنْ أَحْلَامِنَا مَا نَعِينَا

رَاح تَسْمَعُونَا بِكْرَهُ لَوْ مَا كُنْتُوا سَامِعِينَا / سَقَطْتُوا مِنْ عَيْنِنَا! / وَاحِدٌ يَشُوفُ الْحَقَّ رُغْمَ أَنَّهُ مَا لَهْشَ عَيْون ... / وَجَلَالَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْحَقِّ اتَعَمَّى مَعَ إِنْ عِنْدَهُ أَلْفُ أَلْفِ عَيْون ...!(٣٥)

وهي من قصيدة عيني عليك بارده التي اهداها الشاعر للدكتور المصري، الذي فقد عينيه الإثنتين أثناء أحداث الثورة ومن بعدها فقد الأولى لكن هذا لم يمنعه من النزول للشارع مع الثوار مرة أخرى، فقد عينه الثانية.

وعبدالرحمن يتألم ويحزن من عدم الحرية لتعبير عما يريد وتعبير ما إذ يقوله يضيء المجتمع، فحروفه تسبب ترقى المجتمع، لكن أجبرته السلطة الحاكمة بالصمت وهددته بالسجن والتعذيب إذا لم يسكت! فماذا يفعل بهذا المجتمع الذي يدعي الحرية ويعامل شعبه هكذا:

يَلُومُ عَلَى الَّذِينَ يُخَافُونَ حُرْفِي بِأَنِّي أَجَاهُرُ بِالشَّمْسِ / عِبْرَ ظِلَامِ الْمَدِينَةِ ... / قَلَّتْ لَهُمْ: " إِنْ شِعْرِي يُؤَدِّي فُرُوضَ الْإِضَاءَةِ"! / قَالُوا: " عَلَيْكَ احْتِرَامِ الظَّلَامِ الَّذِي لَفْنَا"! / قُلْتُ: " إِنِّي أَرَوْضُ عَيْنِ الْمَدِينَةِ عِبْرَ الْمَجَازِ لِكِي لَا تَمُوتَ مِنَ الضَّوْءِ إِنْ ذَاتَ يَوْمٍ أَتَاهَا الشَّرُوقُ... " / فَقَالُوا: " لَأَنَّكَ لَمْ تَحْتَرَمْ لَيْنَا سَوْفَ تُسْجَنُ - دُونَ مَجَازٍ - فَقَايِضُ شُمُوسِكَ بِالْيَلِ كِي لَا تَضِيعُ..."(٣٦)

الواقع المصري قائمة يشار إليها كعلامات الخريطة لكنها بالدماء رمز القتل ودعوة للموت لا للبناء، واقع مرير مليء بالأمراض التي تملا الأجساد فتقتل النفس والروح معا، قتل لكلمة الحق في الصدور، فكأنه قدجف كل الأقلام، كما نزع الحكمة والرسالة من الأعمال المرئية لصالح الإسفاف وهو تعبير عن حجم المصادرة التي تعرضت لها السينما المصرية. فالرقابة أثناء حكم مبارك منعت وحاربت جميع الأعمال الجادة الهادفة والتي كانت تنتشر واقع الحياة المصرية، وتدعوا الناس للتمرد عليها:

فَقَدَّ عَمَّ الْأُورَامِ فِي أَجْسَادِنَا ... / وَجَفَّتْ الْكَلِمَةُ فِي أَقْلَانَا ... / وَصَادَرَ الْحِكْمَةَ فِي أَفْلَامِنَا...!(٣٧)



٩- دعوة الناس للقيام والمقاومة

يقول الشاعر عن التغيير السلمي أنها قضية عمره ويقصد بها، تغيير الأنظمة الفاسدة بالعمل السلمي. لذلك نجد تحركات عبد الرحمن يوسف وكتابات الشعيرة والنثرية نتاج واضح لمعتقداته وإيمانه المطلق بنبذ العنف.

الشاعر يؤمن بأن الثورة هي الحلّ الوحيد الذي يمكن من استعادة الحق المغضوب، فقد عبّر عنها مع اختلاف مستويات هذا التعبير شدة وهدوءاً. ومثال هدوئه هذه القصيدة:

سَائِقُ الْأَضْغَانِ لِلصَّبْرِ حُدُودٌ وَأصْطَبَارِي بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ غِي (٣٨)

والأبيات التالية تدلّ على شدته:

تَحْرَكُ يَا ابْنَ هَذَا الْأَرْضِ ضِ أَخْرَجَ عَزْمُكَ الْمَدْفُونِ

تَحْرَكُ يَا سَلِيلِ الْعِزِّ عَلَّ الْقَوْمَ يَتَعْظَمُونَ...

يَحْرِكُ عَزْمَ هَذَا الشَّعْبِ بِ سِحْرٍ ذُرَّهَ الْمَكْنُونِ

إِذَا مَا كَانَ هَذَا الظُّلِّ م فِي بِلَدِي فَكَيْفَ نَكُونُ؟ (٤٠)

وهذا القصيدة، دعوة للانتفاضة في وجه الظلم والظالمين، واستتكار لدعاوي تثبيط الهمم والصبر على البلاء، بل يرى ضرورة المجابهة والعمل على التصدي له بكل قوة. فالشعب المصري قادر على فعل الكثير، ويجب عليه الخروج من الحالة السلبية والتأمل في الواقع المرّ المرير والقفز إلى العمل العام لتغيير الأوضاع القائمة. تغيير يصلح الأحوال ويحيي الآمال في العيش الكريم:

يَا أَيُّهَا الْمِصْرِيُّ إِنَّكَ كَادِحٌ فَاصْبِرْ عَلَى بِلَوَائِهَا... / يَا أَيُّهَا الْمِصْرِيُّ لَا تَقْبَلْ بِمَدْحِ الصَّبْرِ / بَلْ فَاصْدَعْ أَمَامَ فِتَاتٍ دُنْيَانَا بِصَوْتِ هِجَائِهَا... / أَنْتَ الَّذِي رَوَّضْتَ آلَافَ الْمُلُوكِ / بِسُوطِ صَبْرِكَ سَاعَةً / وَبِسَاعَةِ تَمَرُّدِ الْحُكَمَاءِ مِنْ غُوغَائِهَا... / لَا تَرْضَ أَنْ تَمْضِيَ نَهَارَكَ جَالِسًا مُتَأَمِّلًا / فِي هَذِهِ الْأَهْرَامِ / ... (٤٠)

عبدالرحمن كشاعر سياسي معارض لنظام مبارك يوظف نفسه لكي يحرك الناس للمقاومة والقيام بالظلم والاستبداد الذي طالما يعاني منه الشعب المصري، ويصبح مشعل الهداية للمصري في



طريق المقاومة، ويشجّهم ويقول إننا نحتاج إلى قدر من الشجاعة لكي نتغلب عليهم وهذا لا يمكن إلا إذا قمنا بالظلم، فحينئذ نصل إلى الارتياح:

أنا من يُوَجِّه سَيْلَ التَّفَاوُلِ شِعْرًا لِمَجْرِي العَمَلِ / أنا من يُصَوِّتُ حِقْدَ الجُمُوعِ لتَسْكُرَ دِرْعًا تَحْصَنُ
مَنْ خَلْفَهَا مَنْ قَتَلَ / أنا من يُحَرِّكُ جَيْشَ الشَّجَاعَةِ ضِدَّ جُيُوشِ الوَجَلِ / أنا من يُبَدِّلُ طَبْعَ الأَسْوَدِ
لشَعْبِي بِطَبْعِ الحَمَلِ (٤١)

الشاعر، يحبّ وطنه وحبّه ليس ضربا من الدعة والترّف، وليس ضربا من الرومانسية، إنّه حبّ المكافحين للفساد اللذين يجدون في حبّهم للأرض ملاذا وخلصا، ويتخذون من حبّهم لها حافزا إلى مزيد من التحدّي والنضال:

هُوَ السَّيْفُ لِلتَّحْرِيرِ نَهْجٌ مَوْحَدٌ يَكُونُ شَرُوقُ الفَجْرِ حَيْثُ يَكُونُ (٤٢)

هذا صوت شاعر الثورة "عبدالرحمن يوسف" الذي اعتمد في أغلب قصائده المراحل الأولى من شعره، الأسلوب المباشر في التحريض على الثورة. وربما كان الهدف الأول والمهم في اتباع عبدالرحمن يوسف هذا الأسلوب أنّ الشعر عنده مهمة، ومهمته تتحدّد بتأثيره على الجماهير، وإثارة نار الحقد في صدورهم، لتَهَبَّ بالتالي مدافعة عن أرضها وحقّها.

وقد اختار الشاعر أفضل الطرق لتحريض شعبه للقيام وهو أن يذكرهم بأميالهم ومطامحهم كما يذكرهم تلك بساتين الوداد التي ملأها الظلم وتجمعهم الذي زال وصاروا منفردين في وطنهم:
شَكَكَ بِجَدْوَى السَّلْمِ إِنْ مَا النَّذْلُ قَاد... / وَأَرْفَعُ قَصِيدَتَكَ رَايَةَ العَصِيانِ تَمَلَأُ كُلَّ أَرْجَاءِ البِلَادِ... /
وَأَعْجَبَ لَجْمَعِ كَيْفَ أَمْسَى فِي انْفِرَادٍ...! / وَأَعْجَبَ لَذَا كَالْحَقْلِ يَزْهَرُ حِينَ يَسْقِيهِ المَدَادُ...! (٤٣)

١٠- مقاومة التبعية

يحزن الشاعر بما أصاب بلده من الظلم وبما يحكمه الأجنبي، ويستعمر أرضه العزيزة التي بناها أجداده مجسّدا لنا بأن الحكومة التي ليس لها إرادة في إدارة الشعب قد وأدتهم وظلمتهم:

بَذْرَةُ الظَلَمِ أَثْمَرَتْ وَسَيُوفِي تَكْسَّرَتْ

أَجْنَبِيٌّ يَسُومَنِي وَأَرَاضِينَا اسْتَعْمَرَتْ

قَدْ وَأَدْنَا رِجَالُنَا كَنَسَاءَ تَعَهَّرَتْ (٤٤)



"لقد بدأت التبعية في عهد أنور السادات واستمرت حتى مقتله في ١٩٨١، ولكن جعل مبارك هذه التبعية بلاحد في السياسة الاقتصادية أو السياسية العربية. كما تتوفر العلاقة المصرية السورية عندما تتوفر علاقة أمريكا بسوريا. وعادت مصر النظام الإيراني بنفس الدرجة التي تبديها الولايات المتحدة؛ فالهجوم يشد على إيران عندما تقرر أمريكا أن تزيد درجة الضغط عليها، ثم تخف حدة الهجوم المصري إذا أرادت أمريكا أن تجرّب سياسة المهادنة، وهكذا كانت مصر عندما قامت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١". (٤٥)

فهنا يرفع الشاعر صوته في القصيدة من أجل الآلام التي انهالت على الوطن المظلوم ولأنّه أصبح مكانا لكلّ أجنبي يدخل فيه ويستفيد منه، فلا حلاوة في الحياة كلّما سيطر على الوطن ظلّ العدو الأجنبي فهو بأشكال متعددة يشتكى من مبارك الذي كان دوما ساجدا لما يأمره الغرب:

سَجَدت للغربِ دوماً / مُستبدلاً قِبَلتكَ / بأدمعي وديمائي / كَتَبْتُهَا قِصَّتَكَ (٤٦)

١١- رثاء شهداء الوطن

إنّ الاستشهاد في سبيل الله ولحفظ الوطن مازال و مايزال فكر مثالي في كل مجتمع مسلم وإنّ الشهداء يضحون بأنفسهم لحفظ الوطن قبال المستبدين والجبارين. الشاعر ينشد أشعاراً قيّمة مهداة إلى أرواح شهداء ماتوا بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة. كما ينشد قصيدة "الراحلون بلا قبور" مهداة إلى ضحايا عبارة "السلام ٩٨" وذويهم _ وعبارة السلام ٩٨ هي باخرة غرقت وغرق معها آلاف المصريين وقد أهملوا وتركوا في البحر بسبب الفشل في إدارة الأزمة. ويقال أنّهم رفضوا إيقاظ مبارك من نومه ليأمر بخروج الطائرات للإنقاذ. قد كتب الشاعر القصيدة في الذكرى الأولى لرحيلهم:

يا راحلين لَقَر ذاك البَحْر في ليلِ بلا ثمن / إنّي أرى جُثمانكم في البحر / باتَ مُحنّطاً في شكل
مرجان يكون به الخلود فلا فناء... / يا راحلين بلا قبور / إنّ قبركم غداً قبرا بحجم البَحْر /
شاهده السماء...! (٤٧)

فالشهادة في شعر عبدالرحمن بناء الدم لعبور الجسر إلى الوطن المحرر، وصورة الشهادة لم تعد رثاء، وذكر مناقب، وتعبيراً عن مشاعر الأسى والعتاب، فالشهادة اختيار، والخلود تجاوز إلى المستقبل، والشعر عباءة هذا الاختيار، كما حفلت دواوينه بالعديد من صور الشهداء في لوحات شعرية فذّة، تشبه لافتات تعلن أنّ الثورة مستمرة، وأنّ الجيل الجديد هو صانع الغد الحرّ الجديد.

النصرُ طموحُ قيادة... / والنصرُ دماءُ شعوب... / النصرُ طريقُ الشهادة... / والنصرُ دعاءُ قلوب... (٤٨)

١٢- تحذير الدولة من ردود الشعب

يكتب الشاعر في مقالة بإسم "ثورة الصبّار": "نحن نملك قدرة عجيبة على العيش في الظروف الصعبة، تماما كما يعيش الصبّار في الصحراء القاحلة؛ ونستطيع البقاء على قيد الحرية سنوات وسنوات، ونملك الصبر على الجوع والعطش ما يجعلنا مؤهلين للبقاء في ميدان الشهداء لمدة شهر حتى تتم التعديلات الدستورية كما نريد، وإذا لم يتم ذلك، فليتأكد الجميع أننا سنبقي في أماكننا إلى أن نحقق مطالب الثوّار، وإلى أن نطمئن على عدم ضياع دماء الشهداء وسيحدث ذلك بإذن الله. أيها السادة المتحاورون، إذا أردتم أن تحلوا هذه الأزمة، فاعلموا أتكّم لا بد أن تتخذوا بعض القرارات الحقيقية المتعلقة برأس النظام، أما بغير ذلك، فلن تجدوا منّا سوى الشوك...شوك الصبّار...!" (٤٩)

كان الشاعر يهدّد مباركا بطريق آخر ويخاطبه بأنّ الأرض سرعان ما تطرحك والشعب ينتقم منك بسبب ذلك التعذيب الذي برعت به في حق إخوتك:

شعبي سيمكث في أرضي لينفّعها / وأنت... ترحل يا مسكين كالزبد... / فانصب سُرّادق وهم النصر في وطني / به عزائك بعد الموت في كمد!!! (٥٠)

من المفارقات الغريبة في أشعار عبدالرحمن، انتقال مفرداته وانطلاقها لتشكّل مسار التعبيرات اللفظية التي عبر بها المصري بميدان التحرير وميادين مصر كلها، عبدالرحمن من أوائل من جهروا بقول إرحل ومن أوائل من بشّروا بزوال حكم مبارك ونظامه وعائلته.

كتب الشاعر قصيدة الطريدة بعد ثورة تونس، وقبل ثورة مصر يتنبأ بما حدث واصفا ما قد يحدث لحاكم ظالم وهو وصف كما يقول يوسف يقبل القسمة على كل الحكام الظلمة. فهي تبشير بالثورة في كل الأقطار العربية المستعبدة من قبل حكام فاسدين مفسدين:

حينها هيهات تقدر أن تمثل فوق شاشات القُوادة / لو حاصر الثوّار قَصْرَكَ في الظلام فسوف تُخذلك الحراسة والحرس / لم ينفَع السُلطان فيها كلُّ أسوار وأجناد فغادر وانتكس (٥١)

وبلا شك فإنّ عبدالرحمن يوسف كان جريء في أشعاره، وهو أعزل من كل سلاح _ إلا سلاح الكلمة _ حين تصدّي لمبارك بوجه صارخ.



فيهدّد الشاعر مباركا في هذا الحديث الحاسم، بأنّ من قتل يقتل ومن ذلّ شعبا أو شخصا يذلّ ومن يجب عزله يعزل دون شك، وإذا أراد الشعب عزلك من الحكم سيستطيع ولا يمنعه سلاحك وضباطك ولا أي شيء آخر:

قصرُ الكلامِ اللي قتل يُقتل... /واللي يقول غيرِ كده /يا إما قاتلٌ أو يا إما أهبلٌ...! /إسأل
شيوخِ الدينِ أو أي مِين يُسأل... /إسأل ولي الدم غيرِ القصاصِ يقبل...؟ /اللي أدلّ يُذلّ... /
واللي خذلّ يُخذل... /واللي عزّل يُعزل... (٥٢)

بعد رحيل مبارك من الحكم، تواطئ المجلس العسكري في قصاصه وقصاص رجاله. فالشاعر يتتابع دوره في أخذ مطالب الشعب قبل الثورة وحتى بعدها فينشد مخاطبا المجلس العسكري ويقول نحن لسنا دعاة انتقام بغرض الانتقام والتشفي من مبارك ونظامه، لكننا لا نقبل مسلسل البراءة المستمر وهو تعليق على أحكام البراءة التي حصل عليها رجال مبارك بعد الثورة بسبب تواطئ المجلس العسكري وطمت الأدلة، كما يهدد الشاعر من يعتر بنفسه وبأعراض المصريين بأنه سوف يتعلم العفة على أيديهم:

مأحناش دُعاة انتقام... /ولأ يوم خطر في بالنا نتشفي... /ولأ راح نوافق نمشي زي الطرش
في الزفة... /قصص البراءة الزور بقت مرفوضة... /وبنادق القناص في خسزنة خصمنا
بالواحدة كات معدودة... /واللي الزمن غره بأعراضنا... /حنعلمه العفة... (٥٣)

النتائج

إنّ عبدالرحمن يمكن أن نحسبه من شعراء المدرسة الواقعية، لأنه عاش في ظروف سياسية خاصة للمجتمع المصري وأحداث دولية وإقليمية حادة، فقد أدرك رسالته الشعرية وخاض في مجالات الأدب السياسي، وقد تناول بالبحث القضايا السياسية في دواوينه، خاصة في "لا شيء عندي أخسره" و"حزن مرتجل" وأشار إلى الديكتاتورية لحسن مبارك وبين تبعاتها في إرادته لجعل ابنه رئيسا خلفه، كما ذكر الأسباب السياسية الأخرى التي سببت قيام ثورة ٢٥ يناير ومنها: الاستبداد، وحكم الطوارئ، والتعذيب في السجون، وعدم الحرية والعدالة... . فلهذا يمكن للباحث أن يدرك أسباب الثورة خلال دواوينه.

كما أنه حتى الآن يؤثر على الثورة ويساعدها وقد نشر بعد الثورة ديوانا باسم "مسبحة الرئيس" في هجاء مبارك الذي يعدّ تحريضا ضد الأنظمة الحاكمة، كما أنشد قصائد جلييلة أخرى في ديوانه "على رأسها بطحة وجعل هذا الديوان صرخة أمام نباح الأنظمة المستبدة. فهو من أهم السياسيين الشباب الذين دعوا إلى الثورة والتغيير السلمي في مصر، وبدعوته وتفاعل عدد كبير

من شباب التيارات السياسية المصرية، ظهرت حركات سياسية عديدة كان لها دور كبير ومحوري في اندلاع الثورة.

الهوامش

- (١) arahman.net
- (٢) arahman.net
- (٣) عبدالرحمن حسين، ٢٢-٢٤
- (٤) زيد، ١٥
- (٥) حمدان، ١٠٧-٨٥
- (٦) امين، ٢٨٦
- (٧) عبدالكريم، ٩٩-٤١
- (٨) يوسف، في صحة الوطن، ٩٦
- (٩) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ١١١
- (١٠) المصدر نفسه، ٦٦
- (١١) المصدر نفسه، ٢٨
- (١٢) أدونيس، ٤٣
- (١٣) يوسف، في صحة الوطن، ٧٨
- (١٤) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ١٧
- (١٥) المصدر نفسه، ١٣٠
- (١٦) (هل خلت مصر من القادرين على الإصلاح، www.shoroukhnews.com)
- (١٧) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ١٨٤
- (١٨) يوسف، مسبحة الرئيس، ١٠٥
- (١٩) يوسف، في صحة الوطن، ٧٦
- (٢٠) يوسف، على رأسها بطحة، ٨٢
- (٢١) يوسف، في صحة الوطن، ٦٩
- (٢٢) المصدر نفسه، ٩٧
- (٢٣) المصدر نفسه، ٤٣
- (٢٤) المصدر نفسه، ١٢
- (٢٥) المصدر نفسه، ١٠٥
- (٢٦) يوسف، حزن مرتجل، ٤٨
- (٢٧) يوسف، في صحة الوطن، ٢٧-٢٨
- (٢٨) المصدر نفسه، ٢٣





- (٢٩) يوسف، حزن مرتجل، ١٠
(٣٠) المصدر نفسه، ١٤٧
(٣١) المصدر نفسه، ٥٥
(٣٢) يوسف، في صحة الوطن، ١٨
(٣٣) التوجي، ٣٦١
(٣٤) يوسف، في صحة الوطن، ٤٤
(٣٥) يوسف، على رأسها بطحة، ٢٦
(٣٦) يوسف، حزن مرتجل، ١٠
(٣٧) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ١٧٧
(٣٨) يوسف، في صحة الوطن، ٣٩
(٣٩) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ٩٢
(٤٠) المصدر نفسه، ٦٥
(٤١) يوسف، حزن مرتجل، ١٠-١٢
(٤٢) يوسف، أكتب تاريخ المستقبل، ٦٩
(٤٣) يوسف، حزن مرتجل، ٧٠
(٤٤) يوسف، في صحة الوطن، ١٠٢
(٤٥) أمين، ٢٩٢
(٤٦) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ٤٠
(٤٧) يوسف، حزن مرتجل، ٥٠
(٤٨) يوسف، أكتب تاريخ المستقبل، ١٥٢
(٤٩) arahman.net
(٥٠) يوسف، لا شيء عندي أخسره، ٦٨
(٥١) المصدر نفسه، ١١٦
(٥٢) يوسف، على رأسها بطحة، ٧٦
(٥٣) المصدر نفسه، ٧٥

A) Source:

1. Adounis.khalidh saaid(1382).diwan alnehzat ahkawakebi.Buirot. daralelm lalmalaiin.
2. Altiugi. Mohamad(1993). Almogam Almofasal fi aladab. Binder 1. Buirot. Dar alkotob alelmiah.
3. Galal .Amin(2013). Maza hadas llsourat almesreah.alghaherah. daralshorogh.
4. Hissin.Mohammad abdoalrhman (1967). Kefah alsheb. Alghahereh. Almagles alaala llshoon aleslamih.
5. Alzayed. Mahmud(1973). Mn ahmad erabi ela gamal abdoalnaser.print 1. Aleskandariih.





6. Yousef. Abdoalrahman(2006). Oktob tarikh almostaghbel. Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
7. Yousef. Abdoalrahman(2012). Hozn almortagel. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
8. Yousef. Abdoalrahman(2012). Fi shhat alvatan. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
9. Yousef. Abdoalrahman(2009). La shi endi akhsaraho. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
10. Yousef. Abdoalrahman(2012). Yimiut sorat alsbbar. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
11. Yousef. Abdoalrahman(2012). Mesbahat alraeis. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.
12. Yousef. Abdoalrahman(2013). Ala raseha batha. . Alghahereh. Dar alshaer lnasher va altoze.

B)Magazine:

13. hamdan. Ahmad evaz. Aldour almesri fi harb felestin.magazne gameat alaghsa. Binder 16.nummber 2. Yonio 2012.

C)website

- [.www.arahman.net](http://www.arahman.net)
[.www.shourokhnews.net](http://www.shourokhnews.net)

